



المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم



تَعْظِيمُ لِلَّهِ تَعَالَى فِي هِدَايَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

تعظيم الله تعالى من خلال كتاب
" التبيان في تفسير القرآن "

اسم الباحث

د/ صبري محمد أوانج

د. صبري محمد أوانج

تعظيم الله تعالى

من خلال كتاب (التبيان في تفسير القرآن)

المخلص

إنَّ تعميق تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- هو أعظم وسيلة توصل إلى سعادة الفرد والأسرة والمجتمع، بل إلى سعادة البشرية كلّها خصوصاً في زمن العولمة، وحيثُ صار العالم قرية واحدة ضعف منه أثر الوسائل الخارجية لحماية ووقاية المجتمع من منع ومراقبة، فصار لزاماً الاهتمام والتركيز التام على تقوية تعظيم الله في النفس بتقوية الوازع الديني ومراقبة الله في السرِّ والعلن.

المفسِّرون قديماً وحديثاً في كلِّ أنحاء العالم وبأى لغة يألّفون كتبهم التفسيرية يهتمون اهتماماً بالغاً بالآيات التي تعظم الله فيها -عزَّ وجلَّ-. وهم يحاولون الكشف عن وجوه تعظيم الله العظيم الداخلة في الآيات البينات من أول القرآن إلى آخرها. وهذه المقالة المتواضعة تبحث عن تعظيم الله تعالى من أحد الكتب التفاسير وهو (التيان في تفسير القرآن) الذي ألّفه الشيخ عبد الهادي أوانج -حفظه الله- أحد العلماء المعاصرين الماليزي الجنسية. وهذا التعظيم لله -عزَّ وجلَّ- تستنبط وتستخرج من خلال الآيات القرآنية المختارة في سورة البقرة فقط من هذا الكتاب. والمنهج المطبق للحصول على المعلومات العلمية لهذه المقالة هو المنهج المكتبي. والنتيجة التي توصل إليها البحث: هي أنَّ تعظيم الله سبحانه وتعالى من العقائد الإسلامية. وهي ظاهرة في جميع الآيات القرآنية، ولها مكان عظيم عند جميع المفسِّرين لكتاب الله عزَّ وجلَّ.

الكلمات المفتاحية: تعظيم الله، التفسير، التبيان في تفسير القرآن.

المقدمة

هذه الورقة تتحدث عن تعميق تعظيم الله الرَّبِّ الجليل المستنبط من تفسير الآيات القرآنية المختارة من كتاب (التبيان في تفسير القرآن) للشيخ عبد الهادي أوانج قائد الحزب الإسلامي الماليزي في ماليزيا. والكتاب هذا ألفه صاحبه باللغة الملايوية حيث يتوافق مع المجتمع الذي يعيش فيه المؤلف. وأما السُّورة المختارة لهذا البحث؛ فهي سورة البقرة.

أهداف المقالة

تهدف هذه الورقة إلى كلِّ من الأمور الأربعة الآتية:

- ١- التَّعريف بالشيخ عبد الهادي أوانج.
- ٢- التَّعريف بكتاب (التَّبيان في تفسير القرآن).
- ٣- بيان حقيقة تعظيم الله تعالى.
- ٤- ذكر نماذج من الآيات التي تستنبط منها تعظيم الله - عزَّ وجلَّ - من كتاب التبيان في تفسير القرآن.

منهج الكتابة

تعتمد هذه الورقة على المنهج الاستقرائي في جمع المعلومات المتعلقة بالمؤلف وكتابته، وكذلك بتعظيم الله والنماذج من الآيات التي تستنبط منها تعظيم الله. وبعد جمع المعلومات، تعتمد الورقة على المنهج الوصفي في بيان كلِّ من الأهداف الثلاثة الأولى والمنهج الاستنباطي التحليلي في الهدف الرَّابع.

ولد الشيخ عبد الهادي أوانج في الخامس من شهر ذي الحجة عام ١٣٦٦ هـ الموافق لـ ٢٠ أكتوبر، في قرية ريفية بحرية تابعة لمحافظة مارانج في ولاية ترنجانو، وهي إحدى ولايات الدّولة الماليزية.

ومنذ ١٩٥٥ م تابع أباه وتلقّى منه الدّراسات الإسلامية، وهو لا يزال في سن مبكر من عمره حينذاك. وكان أبوه من أبرز رجال العلم، ومرجع من مراجع الأُمَّة في ولاية ترنجانو. وهي ولاية متديّنة، يغلب عليها التأثير الإسلاميّ في معظم حياة سُكّانها^(١).

ثم درس في المدرسة الابتدائية بقرية (روسيا) بمحافظة (مارانج) في عام ١٩٥١ م، ثمّ واصل دراسته في المدرسة العربية بمحافظة (مارانج) لمدة خمس سنوات.

ومن سنة ١٩٦٥ م إلى ١٩٦٨ م أتيحت له الفرصة لمواصلة دراسته في معهد سلطان زين العابدين. وهي من أفضل المؤسسات التعليمية العريقة في عاصمة ولاية ترنجانو التي أنجبت زعماء الوطن.

ثمّ سافر فضيلة الشّيخ الى المدينة المنورة النبوية بالمملكة العربية السعودية لالتحاق بالدراسة هناك في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وتفوق في دراسته، وتخرج في كلية الشريعة الإسلامية عام ١٩٧٣ م.

ثم واصل دراسته في المرحلة العالمية (الماجستير) في جامعة الأزهر، وتخرّج منها في تخصص الشريعة السياسية عام ١٩٧٦ م^(٢).

ثمّ عاد إلى بلاده ماليزيا عام ١٩٧٦ م، وقرر فضيلة الشّيخ أن ينتمى إلى الحزب الإسلامي الماليزي رسمياً في ذلك العام، وهو أوّل حزب إسلاميّ أُسس في ماليزيا قبل استقلال ماليزيا من استعمار بريطانيا. ولكن في حقيقة الأمر فإنّ فضيلة الشّيخ قد نشط في العمل السياسي الإسلامي منذ نعومة أظفاره.

(١) انظر: رضوان محمد نور، ٢٠٠٩، Ideolouge. Abdul Hadi Awang: Murabbi ، Pemimpin، كوالا لمبور (٥).

(٢) عبد الغني حسين، ١٩٩٧، Metodologi Tuan Guru Haji Abdul Hadi Awang ، Dalam Tafsir Al-Quran، كوالا لمبور: جامعة ملايا (١٣).

ثمّ انتخبه الشعب بعد ذلك عضواً في المجلس التشريعي بولاية ترنجانو إثر فوزه في الانتخابات العامّة عام ١٩٨٢ م. وانطلاقاً من ذلك الفوز، تصاعدت شعبيته لدى الشارع الماليزي حتى استطاع أن يحقّق الفوز في البرلمان المركزي لماليزيا عام ١٩٩٠ م فأصبح نائباً في البرلمان الماليزي.

ثمّ تمّ انتخابه كبير الوزراء لولاية ترنجانو في أعقاب نجاحه في الانتخابات البرلمانية التي وقعت عام ١٩٩٨ م^(١).

وقد حقق إنجازات اقتصادية وسياسية عظيمة في ولاية ترنجانو في سنوات ولايته الأربعة، تلك التطورات كانت كفيلة بتحويل ولاية ترنجانو من ولاية فقيرة تئن تحت وطأة الديون إلى واحدة من أسرع الولايات تطوّراً في ماليزيا، وذلك في فترة قياسية، استرجع حقوق الشعب المسلوبة في قضية ملكية الأرض.

وكذلك نجح في فترة ولايته إلغاء الضرائب المفروضة على كل بيوت شعب ولاية ترنجانو بصورة كاملة، وإلغاء رسوم السير لمستخدمي جسر سلطان محمود وهو أطول جسر في الولاية. وتعد هذه الخطوة جريئةً ورائدةً وفريدةً من نوعها في تاريخ نظام الضرائب في ماليزيا.

وصدرت له عشرات الكتب والمؤلفات في العلوم الإسلامية المختلفة؛ في التفسير والعقائد الإسلامية، والأحوال الاجتماعية، والسيرة النبوية، والفقهاء السياسيين والحركات الإسلامية والدعوة، وغير ذلك. عامتها بلغة الملايو الماليزية، وبعضها باللغة العربية، فمن مصنفاته:

١- الصراع بين الإسلام والعلمانية في ماليزيا.

٢- نظام الحكم في الإسلام.

٣- شبهات وعقبات حول تطبيق الشريعة في ماليزيا.

٤- فقه الحركة من السيرة النبوية - ٣ مجلدات -.

٥- فلسطين من قطاع الطريق إلى خارطة الطريق.

(١) مصطفى عبد الله، ٢٠٠٩،، Khazanah Tafsir Di Malaysia، بهنج (٢٩٨).

٦- سلسلة (التبيان في تفسير القرآن).

٧- أهمية الموقف الإسلامي تجاه العولمة. وغيرها^(١).

وللشيخ أيضا مقالات متعدّدة في موضوعات متنوّعة قدّمها في المؤتمرات والندوات والجلسات العلمية على المستوى المحلي والدّولي. فلو تأملنا تلك المقالات نجد أن معظمها يتحدّث عن القضايا الإسلامية المعاصرة التي لها علاقة بالعالم الإسلامي، ومجمّعه أجمع^(٢).

(١) المصدر نفسه، ص: ٢٧٠-٢٧١.

(٢) الجريدة الحركة التي أصدرها الحزب الإسلامي.

تفسير مؤلف بكتّاب (العبيد) ومعهم

بدايةً قبل أن يُكتب ويُطبع (التبيان) كان مؤلفه فسّر وشرح الآيات القرآنية أمام الجماهير في مسجدٍ بمسقط رأسه قرية روسيلا، مارانج، ترنجانو، ماليزيا. وبجهود متواصلة ضخمة أنجز الشيخ التفسير في حدود الثمانينات، ولكن بسبب حبه لكتاب الله - عزّ وجلّ - أعاد تفسيره مرة أخرى كل يوم الجمعة أمام الجمهور الكبير الذي كان يأتي من أماكن متفرقة.

واعتمد في تلك المجالس على عدد من المصادر، منها:

- ١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
- ٢- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
- ٣- روح المعاني للألوسي، وغيرها.
- ٤- وفي مجال شرح الآيات الأحكام استفاد الشيخ كثيرا بالكتب المذهب الشافعية.

وأما المنهج الذي سلكه الشيخ في هذا الكتاب:

- ١- ذكر المكية أم المدنية.
- ٢- البيان عن المحتويات الأساسية لكل السور.
- ٣- تقسيم الآيات على حسب الموضوعات المناسبة قبل الشرح.
- ٤- ترجمة الآيات إلى لغة الملايو.
- ٥- يقوم بتفسير الآيات آية آية بلغة الملايو.
- ٦- الاستعانة بالأحاديث النبوية أثناء تفسير الآيات.

حَقِيقَةُ تَعْظِيمِ اللَّهِ تَعَالَى

إنَّ تَعْظِيمَ اللَّهِ تَعَالَى أَصْلُ الْعِبَادَةِ وَحَقِيقَتُهَا، وَهُوَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ، كَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ الْعِبَادَ بِتَعْظِيمِهِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٧٤) [الواقعة: ٧٤]؛ إِذْ إِنَّ الْعِظْمَةَ الْكَامِلَةَ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَمَنْ يَنَازِعَ اللَّهَ فِيهَا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْقَدِيسِيِّ: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَارَعَنِي وَاحِدَةً مِنْهُمَا، أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ»^(١)، فَاللَّهُ تَعَالَى عَظِيمٌ فِي ذَاتِهِ، وَفِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَفِي مَلِكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَفِي مَا خَلَقَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ. وَلِذَلِكَ فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُوَقِّنَ وَيَعْتَقِدَ بِهَا اعْتِقَادًا تَامًا، فَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ مُتَوَقِّفٌ عَلَى تَعْظِيمِهِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم].

وَمِنْ مَظَاهِرِ تَعْظِيمِ اللَّهِ تَعَالَى؛ تَكْبِيرُهُ عِنْدَ رَفْعِ الْأَذَانِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ، وَأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَذِكْرِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَقْدِيسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، كَمَا أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرَ قَوْمَهُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَعَدَمِ الْإِشْرَاقِ بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح] ١٣؛ أَي: أَنَّ قَوْمَ نُوحٍ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ تَعْظِيمٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَلَا تَقْدِيرٌ لَهُ بِقَدْرِهِ، وَمِنْ تَعْظِيمِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى تَقْدِيمَ مَحَبَّتِهِ عَلَى مَحَبَّةِ غَيْرِهِ، وَالْإِكْتِثَارَ مِنْ حَمْدِهِ وَشُكْرِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَإِقَامَةَ أَوْامِرِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَعَدَمَ تَجَاوُزِ حُدُودِهَا^(٢).

أَنَّ تَعْظِيمَ اللَّهِ تَعَالَى يَتَحَقَّقُ بَعْدَ أُمُورٍ، مِنْهَا^(٣):

١- يَتَحَقَّقُ تَعْظِيمُ اللَّهِ تَعَالَى بِإِثْبَاتِ صِفَاتِهِ لَهُ كَمَا يَلِيقُ بِهِ، دُونَ تَحْرِيفٍ أَوْ تَعْطِيلٍ أَوْ تَكْيِيفٍ أَوْ تَمَثِيلٍ، وَإِنْكَارِ بَعْضِ صِفَاتِهِ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ عَدَمُ تَقْدِيرِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا يَجِبُ، وَعَدَمُ مَعْرِفَةٍ بِهِ، كَمَا أَنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى: الْمَجِيدُ، وَالْكَبِيرُ، وَالْعَظِيمُ، فَالْأَسْمَاءُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُوصُوفٌ بِصِفَاتِ الْمَجْدِ وَالْكَبْرِيَاءِ وَالْعِظْمَةِ، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

٢- مَعْرِفَةُ نَعْمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَخْلُوقَاتِهِ وَتَذَكُّرُهَا، فَاللَّهُ تَعَالَى عَظِيمٌ الْإِنْسَانِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ، مِنْهَا: أَنَّهُ أَبَاحَ لِعِبَادِهِ الشَّرْكَ بِهِ عِنْدَ الْإِكْرَاهِ عَلَى ذَلِكَ أَوْ عِنْدَ الْخَوْفِ مِنْ

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٧٣٨٢)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٠٩٠)، وَابْنُ مَاجَةَ (٤١٧٤).

(٢) تَعْظِيمُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، "www.alukah.net"، اطَّلَعَ عَلَيْهِ بِتَارِيخِ ١٠-٩-٢٠١٨ بِتَصْرِفٍ.

(٣) تَعْظِيمُ اللَّهِ تَعَالَى وَشَعَائِرُهُ، "ar.islamway.net"، اطَّلَعَ عَلَيْهِ بِتَارِيخِ ١٠-٩-٢٠١٨ بِتَصْرِفٍ.

إلحاق الضرر بالنفس، وحفظ العرض بتشريع حدّ القذف، وحمى المال بإيجاب حدّ السرقة على السارق، وأسقط جزءاً من الصلاة بسبب المشقة.

٣- إن تعظيم القرآن الكريم يعدّ من وسائل تعظيم الله تعالى، ويتحقّق ذلك بتلاوة آيات القرآن الكريم، وتدبّر معانيها، والعمل بالأوامر التي نصّت عليها الآيات، وفي ذلك اقتداء بالسلف الصالح.

ولذلك بيّن الله - سبحانه وتعالى - فضل تعظيم الله في كثير من آياته؛ فمنها: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال القرطبي رحمه الله: ثم الآية الرابعة جعلها الله بينه وبين عبده؛ لأنّها تضمنت تذلل العبد لربه، وطلب الاستعانة منه؛ وذلك يتضمن تعظيم الله تعالى^(١).

ومنها: قوله تعالى في مدح وذكر صفات عباده المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ [الرعد]، قال ابن جرير الطبري رحمه الله: ابتغاء وجه ربهم، أي: طلب تعظيم الله وتنزيهاً له أن يخالف في أمره، أو يأتي أمراً كره إتيانه فيعصيه به^(٢).

ولا يمكن أن تصل العبادة إلى أعلى كمالها إلا بتعظيم المعبود، وقال تعالى في قصة نوح عليه السلام مع قومه: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾ [نوح]، قال أبو السعود: «أي: ما لكم لا تؤمّلون له تعالى توقيراً، أي: تعظيماً لمن عبده وأطاعه»^(٣).



(١) الجامع لأحكام القرآن (١/٣٢).

(٢) جامع البيان (٥/٤١).

(٣) تفسير الثعالبي (٤/٣٢٨).

القرآن كلام الله تعالى المعجز، والتأمل والتدبر والقراءة والتفكر فيه أصل العبادة، ففيه أيضا كل أنواع التعظيم لله تعالى، والآيات القرآنية التي تدل على عظمة الله - عز وجل - كثيرة ولكن تم اختيار عدة آيات من (سورة البقرة) فقط، ومن هذه الآيات:

المثال الأول: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ﴾ [البقرة].

يقول الشيخ في تفسير الآية: أن سبعين رجلاً من قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ طلبوا منه أن يروا الله تعالى جهرةً، ثم يؤمنون بالله تعالى وبموسى. فكيف يرون الله تعالى؟ لأنه تعالى لو يرى جهرةً؛ لكان ليس هناك فرق بينه وبين شجرة جوز الهند والجبال والسيارة والناس وغير ذلك!، أليس الله تعالى هو العلى الكبير لا ينازعه أحد ونحن أمامه ضعفاء أذلاء. ولذلك يكفى لنا أن نعرف الله بوجوده تعالى من خلال الدلائل والآيات الظاهرة الدالة على ذلك في هذا العالم^(١).

ويستنبط من قول الشيخ في تفسير هذه الآية: أن الله تعالى ربّ العباد وربّ السماوات وربّ العرش العظيم، هو الخالق الذي خلقنا، وهو المدبّر الذي دبّر أمورنا، فلو كان الله تعالى كذلك شأنه فهو طبعاً يختلف عنا تماماً من جميع النواحي، وعظمته وقهرته وقوته فوق كل شيء! ونحن عباده كان لا بد لنا أن نعظمه ونمجّده حقّ التعظيم والتّمجيد، ونؤمن ونسلم به حقّ الإيمان والتّسليم. فالله تعالى من خلال الآية السابقة حدّرنا كما حدّر قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين طلبوا أن يروا الله تعالى عياناً؛ لأنه تعالى لا يرى مثل المخلوق.

ويبيّن شيخ الإسلام ابن تيمية أهمية تعظيم الله سبحانه وإجلاله، فيقول: «فمن اعتقد الوحداية في الألوهية لله سبحانه وتعالى، والرّسالة لعبده ورسوله، ثم لم يتبع هذا الاعتقاد موجه من الإجلال والإكرام، الذي هو حال في القلب يظهر أثره على الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتّسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل = كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجباً لفساد ذلك الاعتقاد، ومزياً لما فيه من المنفعة والصّلاح»^(٢).

(١) التبيان في تفسير القرآن (١٧/١-١٨).

(٢) انظر: الصارم المسلموم، ص: ٥٦.

وأضاف ابن القيم عن منزلة التعظيم: «هذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذمَّ الله تعالى من لم يعظمه حقَّ عظمته، ولا عرفه حقَّ معرفته، ولا وصفه حقَّ صفته، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح]، قال ابن عباس ومجاهد: لا ترجون لله عظمة، وقال سعيد بن جبیر: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته»^(١).

ويقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي في هذا المقام: إنَّ الإنسان إذا سمع وصفًا وصف به خالق السموات والأرض نفسه، أو وصفه به رسوله، فليملأ صدره من التعظيم، ويجزم بأنَّ ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والجلال والشرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون القلب منزهاً معظماً له (جلّ وعلا)، غير متنجس بأقذار التشبيه^(٢).

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وقال الشيخ: هذه الآية تدلُّ على فرض الصيام في شهر رمضان، وهي تخاطب جميع المؤمنين، والأمر بالصوم نداء كريم من الله تعالى إليهم لعلهم يتقون مستدلاً من قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. المتقون هم الذين يجتنبون النواهي والمنكرات والمعاصي ويمثلون الأوامر، ثم وضح الشيخ بأنَّ غاية صفة المتقين هي الصيام ومنع النفس من مفسده، وبإداء هذه العبادة العظيمة سوف يكونون المؤمن المخلصين الأتقياء. والصوم كما هو معروف أيضاً لا يكلف به غير المضيق للصوم لعجز من مرض أو نحوه، ولمن كان في حالة السفر المباح^(٣).

ويُفهم ويُستنبط من قول الشيخ في تفسير الآية: إنَّ التعظيم والحبَّ الحقيقي لرمضان وركن الصيام ينبعان من خلال التعظيم والحبَّ الصادق والمخلص لمن أمر وشرع لنا صيام شهر رمضان، وهو الله - عز وجل -، وتعظيم وحبُّ الله - عز وجل - يكون باتِّباع أمره واجتناب نهيه الذي علمنا إياه رسولُ الله ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٩٥).

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (٣٦).

(٣) عبد الهادي أوانج، ١٩٩٩م، Tafsit Al-Tibyan (١/ ١٠٧-١٠٨).

وهذا التعظيم والحبُّ لأمر الله - عزَّ وجلَّ - يكونان بالامتثال لجميع أوامر الله - عزَّ وجلَّ -، وعدم التفريق بينها؛ لأنَّ المؤمن والمسلم الحقيقي يؤمن بأنَّ جميع أوامر الله ونواهيها واجبة الطاعة، وأن فيها صلاحه وسعادته. والصَّائمون هم أحقُّ النَّاس بمعرفة الله، وتوقيره، لينالوا وافر العطاء، وعظيم الجزاء يوم القيامة.

والصَّائم كلُّما ازداد معرفةً بالله ازداد قُرْباً منه، وعظَّم الله أجره لما اجتمع له من فضل الصَّيام الذي يجزي الله به، وهذه المعرفة التي جعلته يتقن صيامه، ويحسن أعماله، ويعبد الله كأنه يراه، فيراقبه في سرِّه وخلوته، كمراقبته له في علانيته؛ فاستوى سرُّه وعلنه لكمال علمه واعتقاده برؤية الله له، وهذا يثمر له تعظيماً لرَبِّه، وحياءً منه، وصلاحاً في جميع أعماله، وتوبةً وخشوعاً لله في كل أوقاته.

ولذلك يقول النَّبِيُّ ﷺ: «قَالَ اللهُ -عزَّ وجلَّ-: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزَى بِهِ...» الحديث^(١).

المثال الثالث: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة].

ففي هذه الآية يقول الشيخ: الله - سبحانه وتعالى - أمر أُمَّة الإسلام أن يحافظوا على الصَّلوات الخمس في حياتهم. والمراد من حفظ الصَّلَاة: هو الصلاة في وقتها. ثم أكَّد فضيلته على أهمية حفظ حدود الصلاة من أركانها وشروطها وكيفية أدائها على الوجه الصَّحيح^(٢). وفي الحديث يقول النَّبِيُّ ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(٣).

ويُفهم من قول الشَّيخ: أنَّ عبادة الصَّلَاة يتجلَّى فيها تعظيم الله بمحافظتها وأدائها، ولأنَّ الصَّلَاة تُعدُّ أعظم شعيرة يتعبَّد بها المسلم لله تعالى بعد الشَّهادتين. ولهذه العبادة أيضاً وسيلة من وسائل الوصول إلى مرضاة الله تعالى، ومنازة للعباد إلى تعظيم الله تعالى ربَّ العباد.

والرَّسول ﷺ حين كان يستفتح الصَّلَاة بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»^(٤)، فمن الحريِّ بنا أن نفتدي بالرَّسول مُحَمَّد ﷺ الذي هو أحسن الخلق تعظيماً لله وأعظمهم ثناءً عليه، رغبة فيما عند الله وخوفاً من عقابه.

(١) رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

(٢) التبيان في تفسير القرآن (٢٧/٦-٢٨).

(٣) رواه البخاري (٦٣١).

(٤) أخرجه أبو داود (٧٧٥)، والترمذي (٢٤٢)، والنسائي (٨٩٩)، وابن ماجه (٨٠٤)، وأخرجه مسلم (٣٩٩) موقوفاً على عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ومن مظاهر تعظيم الله - تعالى - في الصلاة كذلك: تعظيمه - سبحانه - في الرُّكوع، وممَّا يحثُّ على ذلك قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَمَّا الرُّكُوعُ فَعِظُّوا فِيهِ الرَّبَّ»^(١)، وهذا لا يعنى أن السَّجود لا يكون فيه تعظيمٌ لله تعالى، ولكن في الرُّكوع أكثر، وكذلك جعل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الرَّفْعَ بعد الرُّكُوع كَلَّةَ تعظيم لله^(٢).

والمصلَّى حين يصلَّى لا شكَّ أنه يكرر قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٣)، قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: ثم الآية الرَّابِعة جعلها الله بينه وبين عبده، لأنَّها تضمنت تذلل العبد لربه وطلب الاستعانة منه؛ وذلك يتضمن تعظيم الله تعالى^(٤).

وقال تعالى في معرض ذكر صفات عباده المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدِرُّونَ بِلِحْسَنِ النَّسِيئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عِزِّي الدَّارِ﴾^(٥) [الرعد]، قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ أي: طلب تعظيم الله وتنزيهاً له أن يخالف في أمره أو يأتي أمراً كره إتيانه فيعصيه به^(٦).

والنبي ﷺ أرشد إلى تعظيم الله في أمهات العبادات، فالصلاة وهي أعظم الشعائر التَّعبدية بعد الشهادتين كلُّها قائمة على التَّعظيم لله - عزَّ وجلَّ -، وكان ﷺ يستفتح الصلاة بعبارات التَّعظيم والتَّمجيد والإجلال لله - عزَّ وجلَّ -؛ ففي (السَّنن): عن عائشة وأبي سعيد أن النبي ﷺ كان إذا استفتح الصلاة قال: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»^(٧).

فالعبد كلما تقرب إلى ربه بأنواع العبادات وأصناف القُرْبَات عَظُمَ في قلبه أمر الله، فتراه مسارعاً لفعل الطاعات مبتعداً عن المعاصي والسَّيِّئات، قال شيخ الإسلام: وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته^(٨).

المثال الرَّابِع: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٩) [البقرة].

(١) رواه ابن العربي في أحكام القرآن، عن عبد الله بن عباس.

(٢) تعظيم الله جلَّ جلاله (١٨ - ٢٠).

(٣) الجامع للأحكام القرآن (١ / ٩٤).

(٤) جامع البيان (٥ / ٤١).

(٥) تقدّم تخريجه.

(٦) مجموع الفتاوى (١٠ / ١٧٦).

يقول صاحب (التبيان): الذين آتاهم الله تعالى القرآن وهم يتلونه ليس لمجرد التمتع فقط! أو كمن يقرأ القرآن لا يجاوز حنجرته ولم يتأثر قلبه قط^(١)، ولكن الذين أعطى الله تعالى لهم القرآن يتلونه حق تلاوته ليلاً ونهاراً، ويؤمنون به حق الإيمان! وحين يمرون بالآيات التي فيها ذكر الجنة سألوها، وكذلك إذا مروا بالآيات التي فيها ذكر العذاب استعاذوا بالله من العذاب!^(٢)

وفعلاً إن الكلام يعظم بعظم قائله، فكيف إذا كان المتكلم هو الله جبار السماوات والأرض؟! أليس أحق أن يعظم؟

ويعتبر تعظيم القرآن الكريم من الوسائل المهمة لتعظيم الله سبحانه وتعالى، ويكون هذه التعظيم عن طريق تلاوة آيات القرآن الكريم، بالإضافة لتدبر معانيها، وكذلك العمل بما نصت عليه هذه الآيات من أوامر، ويكون في ذلك اقتداء بالحيب المصطفى والسلف الصالح. وإذا قرأ القرآن بتدبر وفهم معانيه ووقف عند حدوده وامتلأ الأوامر والنواهي، وتدبر أسماء الله وصفاته وعظمتها؛ فإنه يعرف بذلك جلال الله وعظمة الله وكبرياء الله.

ومن تعظيم الله تعالى: تعظيم كلامه، وتحقيق النصيحة لكتابه تلاوةً وتدبراً وعملاً، وقد حَقَّق سلفنا الصالح الواجب نحو كتاب الله تعالى من التعظيم والإجلال، حتى إن بعض السلف كانوا يكرهون أن يُصغروا المصحف^(٣).

يقول الشيخ ناصر بن سليمان العمر: تعظيم كلام رب العالمين هو سمتُ عباد الله الصالحين في هذه الأمة، وفي: الأمم من قبلها، انعكس أثر ذلك التعظيم عليهم، أن تعظيم القرآن الكريم، يعني تعظيم ما فيه من أمر ونهي، فينزهان من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين^(٤).

(١) كما روى البخاري (٣٦١١): عن علي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة».

(٢) عبد الهادي أوانج، ١٩٩٩ م، Tafsit Al-Tibyan (٢/١٧-١٨).

(٣) حلية الأولياء (٤/٨٢).

(٤) Al-Moslim.net

فطبعاً التدبر الدقيق والقراءة بالتأن للقرآن الكريم وما فيه من حكم وأحكام، والنظر فيما فيه من الدروس والعبر، والتدبر في الآيات التي تتحدث عن خلق الله وبديع صنعه، والآيات التي تتحدث عن عقوبته وشديده بطشه، وآيات الوعد والوعيد من الأمور المعينة على تعظيم الله تعالى.

المثال الخامس: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

يقول الشيخ: من هم الصَّابِرُونَ؟ الصَّابِرُونَ كما قال تعالى في ذلك الآية: هم الذين إذا أصيبوا بالمكاره والمصائب ثبتوا على إيمانهم، وتمثلوا قول الله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾، وهكذا صفة الصابرين الذين يذكرون الله على الدوام. فلهم الخيرات جزاءً لصبرهم على تحمل البليات والامتحان في هذه الدنيا، ومجاهدتهم لإعلاء حكم الله تعالى^(١).

والمؤمن من تعظيم الله تعالى يرى الخير في كل ما يأتي به الله، ويعلم أن الله تعالى يريد الخير واليسر والفلاح الذي قد يأتي به في ثوب البلاء والشدة والضيق، ولذلك قال النبي ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر وكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(٢).

والمؤمن المعظم لربه، فإنه يرضى بما قدره الله عليه، ويصبر على البلاء، ويسأل ربه أن يرفع عنه هذا البلاء وأن يثبتته على الحق. وهذا التَّعْظِيمُ له سبحانه وتعالى من تحمل البلاء والشدائد والمكاره، وسوف يوفى الله أجورهم بغير حساب، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر].

وينالون بسبب هذا التَّعْظِيمِ الفلاح والمعية والمحبة من ربه العظيم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران]، قال المفسرون: فقوله: (لعلكم تفلحون) أي: لعلكم تفوزون بسعادة الدارين، أما في

(١) عبد الهادي أوانج، ١٩٩٩م، Tafsir Al-Tibyan (٢/١٠)، وعبد الهادي أوانج، ١٩٩٩م،

Tafsit Al-Tibyan (١/١٠٧-١٠٨).

(٢) أخرجه الترمذی (٥٣١٨).

الآخرة بالفوز بالجنة والنَّجاة من النَّار، وأمَّا في الدُّنيا^(١) فبخيرها، ومن ذلك التَّمكين لشريعة الله، وعبر بالمضارع ليدل على الاستمرارية في هذا الفلاح. وقال أيضًا: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقال أيضًا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] ومعنى الآية: «أي: استعينوا على أمور دنياكم وآخرتكم بالصبر والصلاة، فبالصبر تنالون كل فضيلة، وبالصلاة تنهون عن كل رذيلة» ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: معهم بالنصر والمعونة والحفظ والتأييد^(٢)، ثم إن الله يحب الصَّابرين، فما ظن من يحبهم الله؟

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/٤٤٧)، وتفسير الجلالين (٤)، وصفوة التفاسير (١/٢٥٤).

(٢) صفوة التفاسير (١/١٠٦)، وانظر: جامع البيان (٢/٣٨).

النتائج

ومن خلال عرض المعلومات والمناقشات حول تعظيم الله تعالى المستنبط من كتاب (التبّيان في تفسير القرآن)، توصل الباحث إلى النقاط التالية:

١- أنّ تعظيم الله تعالى من العقائد الإسلامية الحنيفة، والدلائل والبراهين التي تدل على ذلك قد أشرنا لها من قبل.

٢- أنّ تعظيم الله تعالى هو أصل العبادة ومنارتها، فبدونها لم تتحقق معنى العبادة.

٣- أنّ تعظيم الله تعالى يتجلى في جميع النواحي والمجالات الدنيوية والأخروية.

٤- أنّ تعظيم الله له مكان خاص عند المفسرين قديما وحديثا عربيا وعجما شرقا وغربا جنوباً وشمالاً.

٥- أنّ الكلام عن تعظيم الله تعالى له ميدان واسع ومجال له آفاق لن تنتهي، ولذلك يحتاج إلى بحوث مستقلة والموسوعات الخاصة التي تهتم بهذا الموضوع الكبير.

المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - الأحاديث النبوية.
- ٣ - رضوان محمد نور، ٢٠٠٩، Abdul Hadi Awang: Murabbi، Pemimpin، Ideologue، كوالا لمبور.
- ٤ - الغني حسين، ١٩٩٧، Metodologi Tuan Guru Haji Abdul Hadi، Awang Dalam Tafsir Al-Quran، كوالا لمبور: جامعة ملايا.
- ٥ - مصطفى عبد الله، ٢٠٠٩،، Khazanah Tafsir Di Malaysia، بهنج.
- ٦ - الجريدة الحركة التي أصدرها الحزب الإسلامي.
- ٧ - الألباني، صحيح الجامع الصغير.
- ٨ - تعظيم الله جل وعلا، www.alukah.net.
- ٩ - تعظيم الله تعالى وشعائره، ar.islamway.net.
- ١٠ - الجامع لأحكام القرآن.
- ١١ - الطبري، جامع البيان.
- ١٢ - التبيان في تفسير القرآن.
- ١٣ - الصارم المسلموم.
- ١٤ - مدارج السالكين
- ١٥ - العلامة محمد الأمين الشنقيطي، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات.
- ١٦ - عبد الهادي أوانج، ١٩٩٩م، Tafsir Al-Tibyan.
- ١٧ - أحمد بن عثمان، ١٤٢٣هـ، كتاب تعظيم الله جل جلاله، المملكة العربية السعودية: مدار الوطن للنشر.
- ١٨ - أبو نعيم، حلية الأولياء.

- ١٩- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
- ٢٠- تفسير الجلالين للمحلي والسيوطي .
- ٢١- وصفة التفاسير للصابوني